أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
المجلد الثالث، العدد السابع (2012)، ص ص 117-142

بعثة إيواكارا(1871ـ1873م)، وسؤال التحديث في يابان الميجي

بولحية يحيى (*)

الملخص: يتناول الموضوع أبرز آلية تحديثية وظفها مهندسو عهد الميجي للاطلاع عن حقيقة الغرب وأسرار تفوقه التقاني والعلمي والقانوني والعسكري...وقد مثلت بعثة إيواكارا برجا متحركا لالتقاط المعرفة والبحث عن النماذج التحديثية التي يمكنها أن تفيد بناء اليابان الجديد بعد الإطاحة بنظام التوكوجاوا. كان الهدف من بعثة إيواكارا مراجعة بعض الاتفاقيات السابقة التي فُرضت على اليابان بعد حملة بيري 1853-1854؛ بالموازاة مع ذلك شكل عنصر الاستخبار والبحث عن أسرار التفوق الغربي هاجسين أطرا هذا الحدث الذي يمكن اعتباره محطة فاصلة في تاريخ اليابان المعاصر. تميزت البعثة بالدقة في اختيار أعضائها وتوزيع المسؤوليات التقنية وبزيارة عدد مهم من البلدان الغربية قصد تنويع مصادر المعرفة في أفق استيعابها ودمجها ضمن خصوصيات الشخصية اليابانية.

الكلمات الأساسية: بعثة ايواكارا، اليابان، الميجي.

Iwakura mission-1871-1873 and question of modernization in Meiji Japan

Boulahya Yahya

Abstract:*"Iwakura" mission 1871-1873, is the most famous Japanese diplomatic and education mission in the 19th century to the West; the new regime "Meiji" was concerned to ratify the treaties signed between Western countries and tokugawa regime after the arrival of American Commodore Perry and his "black ships" in 1853-1854; the question of reconstructing the new Japan, and strong competitor was the real purpose of this mission which happened in a decisive phase in Japan contemporary. This mission has visited important Western countries in order to diversify the sources of knowledge on the horizon to integrate it into the Japanese personal privacy.*

Keywords: *Iwakura mission, Japan.*

(*)دكتوراه في التاريخ، 25 زنقة رجب حي موريتانيا، وجدة، المغرب، yahyathese2007@gmail.com .

توطئة

يأتي اهتمامنا ببعثة إيواكار Iwakura باعتبارها محطة فاصلة في تاريخ اليابان المعاصر؛ فقد سمحت هذه الرحلة العلمية والدبلوماسية بتوجه بلد النيبون نحو آفاق المراجعة الشاملة للأوضاع السياسية والدستورية والتعليمية...، كما توخت تحقيق هدفين متكاملين، وهما مراجعة الاتفاقيات التي عقدها الغربيون مع نظام التوكوجاوا Tokugawa خلال نهاية دورته السياسية؛ وكذا التعرف على المؤسسات الغربية من كثب؛ وتأتي قيمتها المضافة من خلال نوعية الشخصيات التي شاركت فيها وانضباطها بتعاليم الإمبراطور ميتسو هيتو Mutsuhito (الميجي Meiji ، 1868-1912م)، وكذا تحقيقها لمجموعة من المزايا وفي مقدمتها الاستخبار عن مؤسسات الغرب وألغاز قوته وتفوقه العسكري والسياسي والاقتصادي.

لم تهتم الدراسات العربية المعاصرة بتفاصيل تاريخ اليابان المعاصر وغلب عليها الطابع العام، و في مقابل ذلك احتكرت الدراسات الأنكلوساكسونية والألمانية والفرنسية ميادين خاصة ومحددة في هذا التاريخ، من قبيل موضوع البعثات التعليمية وعلاقتها بمآل التحديث الداخلي.

ونحاول من ثنايا الموضوع تقديم تفاصيل جديدة للقارئ العربي هادفين قراءةَ تجربة التحديث الياباني من ثنايا أبرز بعثة تعليمية خلال عهد الميجي- 1868-1912م، وطريقة التعامل الياباني مع صور التحديث الغربي بكل من الولايات المتحدة وأوربا.

التخطيط لبعثة إيواكارا

تؤكد الأدبيات التربوية الرسمية اليابانية على أن "اليابان استفاد من الحضارة الغربية عبر استدعاء الأساتذة الأجانب للتعليم بالمؤسسات اليابانية، وإرسال الطلبة اليابانيين إلى الخارج للدراسة والتعلم"[1]. ويؤكد نوبوروكوياما Koyama Noboru "أنه ليس من قبيل المبالغة القول إن تحديث اليابان بدأ مع الدراسة بالخارج"[2]. وهو ما يفرض علينا ضرورة تتبع الآلية الأخيرة وتحليلها، لاستنتاج الخيط الناظم الذي أطر عملية التحديث داخل مجتمع النيبون من خلال بعثة إيواكارا المشهورة.

يمكن اعتبار البعثة تركيبا لمجمل البعثات التي عرفها عهد الإيدو Edo. ولا شك أن ترتيب الوضع الداخلي، وحل التناقضات الداخلية شغلا قادة العهد الجديد منذ 1868م، وتسبب ذلك في التريث واتخاذ الوقت المناسب لإرسال بعثة، عُدت، الأهم في تاريخ البعثات التعليمية اليابانية في العصر الحديث. وقد سجل فوكوزاوايوكيتشي Fukuzawa Yukichi شهادته على أحداث الفترة، قائلا: "في ذلك الوقت تداعت كل المدارس التي كانت تحظى في السابق بتأييد حكومة الشوجون Shogun، وتفرق مدرسوها. ولم يكن الوقت قد أتيح للنظام الجديد ليشغل نفسه بالتعليم"[3].

1- JAPAN'S MODERN EDUCATIONAL SYSTEM, in

http://www.mext.go.jp/b_menu/hakusho/html/hpbz198103/index.html

2 The Educational Policy of the New Meiji Government..

2- Koyama Noboru, Japanese Students at Cambridge University in the Meiji Era, 1868-1912: Pioneers for the Modernization of Japan, Traduit par Ian C. Ruxton, Publié par Lulu.com, 1999,page: 3

3- فوكوزاوايوكيتشي، سيرة فوكوزاوايوكيتشي، ترجمة كامل يوسف حسين، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية،2001، ص: 249.

مثلت مراجعةُ الأوفاق التي تم عقدها مع القوى الأجنبية، في نهاية عهد الإيدو، الاهتمامَ المركزي لأطراف الحكم الجديد، باعتبارها الأساس التعبوي الذي قام على أركانه نظام الميجي، والبرنامج السياسي الذي أطيح بمقتضاه بآخر حكام التوكوجاوا. "وفي 1870م، طلب ساوانورييشي SawaNoriiyoshi ، مساعد وزير الخارجية، من القوى الأجنبية فتح قنوات التفاوض لمراجعة الاتفاقيات السابقة، لكنه لم يتلق إجابة من قبل المسؤولين الغربيين" [4]. وربما كان ذلك أحد الأسباب الرئيسة التي دفعت الدبلوماسية اليابانية إلى نقل هواجسها إلى مراكز صناعة القرار الغربي داخل الولايات المتحدة وأقطار أوربا. وقد سمح ذلك بانتقال نصف أعضاء الحكومة، بمعية مجموعة من الطلبة والمتعلمين، إلى الديار الغربية.

من جانب آخر كان للخبراء الأجانب دور في التنبيه لأهمية إرسال بعثة إلى الخارج، "فقد عُين Guido Verbeck مستشارا لدى حكومة الميجي، وكان دوره مؤثرا في إيفاد بعثة إيواكارا نحو الولايات المتحدة وأوربا"[5]. وفي 1869م، "اقترح على أوكيماشيجونوبو OkumaShigenobu ضرورةَ إرسال الميجي بعثة مكونة من كبار المسؤولين إلى البلدان الغربية المتقدمة... تقوم بدراسة مختلف نظم التعليم، بالجامعات، والمدارس العمومية والخاصة، إضافة إلى المدارس المتخصصة، مثل البوليتكنيك والمدارس التجارية"[6].

أهداف البعثة.

تستدعي المسألة الوقوف والتساؤل، ومن ذلك أن البعثة لم تحدد لنفسها هدفا واحدا، وهو التفاوض لمراجعة الاتفاقات غير المتكافئة التي عقدتها حكومة الشوجون، بل كان اليابانيون يدركون صعوبة موافقة القوى الغربية على مطالب حكومة الميجي. لكن برنامج البعثة حدد مخارجَ ديبلوماسية وتعليمية بديلة، يمكنها تعويض الفشل المحتمل في مراجعة اتفاقات الشوجون السابقة.

ضمن هذا الإطار شكلت مسألة الاستخبار والتعلم الهاجس الأساس الذي حمله أعضاء البعثة معهم إلى الولايات المتحدة وأوربا. و"مثلت بداية حقيقية لدراسة الغرب ومؤسساته المجتمعية" [7].

اهتمت الدبلوماسية اليابانية -من خلال بعثة إيواكارا- بالدول الصغيرة والكبيرة على حد سواء، وكانت ترغب في "اكتشاف أفضل وأحسن العناصر من بين الاختيارات الكثيرة؛ لم يختر اليابان أية دولة صغيرة كانت أم كبيرة لكي تكون نموذجه وقدوته، وإنما اختار الطريق الذي قاده إلى

4- Roy HidemishiAkagi,japan foreign relations(1543-1936)The Hokuseido press,Tokyo,1936-page:86

5- http://en.wikipedia.org/wiki/Guido_Verbeck

6- Akiko Ohta, The Iwakura Mission in Britain:their observations on education and Victorian society.in THE IWAKURA MISSION IN BRITAIN, The Suntory Centre, Suntory and Toyota International Centre for Economics and Related Disciplines London School of Economics and Political Science.London, March 1998, pages: 14-25, page 14.

7- Charles Kupchan, Power in transition the peaceful change of international order, Tokyo ; [Great Britain]: United Nations University Press, ©2001, page:40

التنمية الوطنية"[8]. ومن هنا تأثرت بعثة إيواكارا بالغرب تأثرا بالغا، وأصبح أعضاؤها، بعد عودتهم إلى اليابان، زعماءَ ما عُرف باسم "حزب السلام" في مقابل "حزب الحرب"[9].

ويعتبر أحد الباحثين بعثةَ إيواكارا استراتيجيةً يابانيةً لاستقصاء عوامل التفوق بكل من أوربا والولايات المتحدة الأمريكية[10].

من هذه الزاوية لا نستغرب حجمَ التقرير الكبير الذي سجله المؤرخ المرافق للرحلة كينتاكي كيم KunitakeKume (1839م-1931م) ونشر في خمس مجلدات سنة 1878م[11]، إضافة إلى ما دونه بعض أفراد البعثة ككيدوتاكايوشي Kido Takayoshi وإيتوهيروبومي Hirobumi Itō وغيرهما.

إنه إذا فشلت البعثة في مراجعة الاتفاقيات السابقة، فإنها أصبحت على معرفة تامة برموز قوة الغرب التقنية والعسكرية، وأدركت ضرورة امتلاك مفاتيح التقانة والقوة الغربيتين، وأن ذلك ضروري وذو أولوية على إجراء محادثات متكافئة مع الغرب"[12].

بعثة إيواكارا ودقة التنظيم والتأطير.

احتاجت البعثة إلى التنسيق لتيسير مهمتها العلمية والاستخبارية داخل الولايات المتحدة، ومن هنا أدى القائم بالأعمال الياباني بواشنطن، موري أرينوري Mori Arinori، هذا الدورَ بإتقان، حيث وجه رسالة إلى هون هاملتون فيشHon. Hamilton Fishوزير الدولة الأمريكي، ورد فيها: "أتشرف بإخباركم أنني تلقيت رسالة من حكومتي، تفصح عن إيفاد إمبراطور اليابان بعثة خاصة إلى الولايات المتحدة، وأنها على وشك الوصول. لست أدري اليوم الذي سيبحرون فيه الدبلوماسيون اليابانيون، لكنني أظن أنهم سيصلون إلى واشنطن في نهاية هذا الشهر -يناير 1872م- وسيتم الإعلان عن أهداف البعثة في مناسبة قادمة، لكنني أظنها ترمي إلى تطوير العلاقات الودية بين اليابان والولايات المتحدة"[13].

اقترن إرسال البعثة بتعيين إينو كاورو وزيرا للشؤون المالية[14]، وهو الشخص الذي تمكن من معرفة حقيقة القوة الغربية أثناء إيفاده في بعثة شوتشو Chochu، مع إيتوهيروبومي وغيره، إلى لندن سنة 1863م، وتم تعيينه على رأس الوزارة لتمويل الخطوات التحديثية التي بدأها عهد الميجي، ومنها

8- أكيرا تاناكا، عهد الميجي واليابانيون، مرجع سابق، ص: 25.

9- عبد الغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الأولى 1984، ص: 97.

10- Gilda Massari Coelho, La société de la connaissance et les systémes d'information stratégique comme appui à la prise de decision, Université de droit ,d'économie et des sciences d'Aix-Marseille, Faculté des sciences et techniques de ST.Jérome,2001.page: 174.

11- MIURA Nobutaka, Ibid, page: 18

12- William K. Tabb- ,The Postwar Japanese System Cultural Economy and Economic Transformation, Oxford University PressUS,1995,page:68

13- Charles Lanman, The Japanese in America, Japan Advertiser Press, 1926, page: 5.

14- Claude Hamon, ShibusawaEiichi (1840-1931): Bâtisseur du capitalisme japonais.Maisonneuve et Larose, Paris, 2007, page: 79.

مستلزمات بعثة إيواكارا، التي عُدت الأكبرَ في تاريخ اليابان الحديث، وما تطلبته من مصاريفَ مالية باهظة.

في الثالث والعشرين من ديسمبر عام 1871م غادرت اليابانَ بعثةُ "إيواكارا"، وهي تحمل تعاليمَ الإمبراطور، وتحاول اختصار المسافة بين زمن العزلة الطوعية والانفتاح على الدوائر الغربية. وقد أمضت اثنين وعشرين شهرا في كل من الولايات الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وألمانيا وروسيا والدانمرك والسويد وإيطاليا والنمسا وسويسرا"[15].

كانت البعثة كبيرة العدد " فقد كانت تتألف من حوالي 50 فردا، وكان قادتها من الشخصيات البارزة في الحكومة الجديدة... وكان متوسط عمر أفراد البعثة ثلاثين عاما، ومن هنا كانوا ينتمون لجيل يسهل عليه تقبل الثقافات الأخرى. ورافقت بعثة إواكار Iwakara مجموعة من الطلاب بلغ عددهم 59 طالبا"[16] وكان هدفها الاطلاع "على التقانة الغربية وشؤون الحكم والمجتمعات هناك، (وكان المتعلمون) يوظفون المعرفة التي يكتسبونها في رسم معالم الاقتصاد الياباني"[17].

قاد البعثة، تومومي إيواكار Tomomi Iwakura، وزيرُ الشؤون السياسية، وكانت مهمته سفارية، واستعان في أداء مهمته بأربعة نواب، وهم أوكيبوطوشيميشي Okubo Toshimichi وكيدو طاكايوشي Kido Takayoshi، وإيتوهيروبومي Ito Hirobumi، والمؤرخ كينتاكي كيم KunitakeKume.

تمتعت نخبة بعثة إيواكارا بمقومات القيادة الفاعلة، وبحسن استثمار الجهد البشري، وبالقدرة على قراءة الأحداث واستثمار نتائجها. ولا شك أن سنها المتقدم نسبيا منحها النضج والفعالية لتحقيق ذلك.

يمكن اعتبار بعثة إيواكارا العقلَ الاستراتيجي، الذي نظم وأطر الوفود التعليمية التي كانت تتابع دراستها بالولايات المتحدة الأمريكية وأوربا، ومنحها الغايةَ والمعنى من عملية التحديث، كما منح البعثات التعليمية اللاحقة عمقَ الانتماء ليابان متحفز للتغيير ومحاولة اللحاق بالقوى الغربية. ولا شك أن هذا العقل المنظم والموجه والمستثمر للبعثات اليابانية الموجودة بدول أوربا والولايات المتحدة، مثل أحدَ عناصر القوة التي تفسر نجاح اليابان في مهمته التحديثية بسرعة قياسية.

مثل إيواكاراوأوكوبو، منذ 1858م، بامتداداتهما القبلية، أحدي العناصر الفاعلة في إحياء النظام الإمبراطوري. والأكيد أن هدفهما، بمعية الأقطاب المتحالفة، "لم يقتصر على إرجاع السلطة للإمبراطور، بل امتد إلى تعديل المؤسسات السياسية والاجتماعية لليابان، باستلهام النماذج الغربية"[18].

ومن جانب آخر مثلت البعثة اليابانية برجا حقيقيا للمراقبة ولمراكمة المعلومات الكفيلة بضبط إيقاع التوازن بين وضع ياباني داخلي في طور التشكل على مقاسات سياسية وإدارية جديدة، ووضع خارجي يتسم بتنافس إمبريالي، بدأ يهدد منطقة الشرق الأقصى والجهات القريبة من أرض

15- أكيرا تاناكا، "عهد الميجي واليابانيون"، ضمن كتاب "خفايا المعجزة اليابانية"، ترجمة عبد الله مكي القروص، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1999، ص: 23.

16- ميتشيو ناجاي، وأورشياميجول، الثورة الإصلاحية في اليابان، ترجمة عادل عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992م، ص: 231.

17- شارل عيساوي، تأملات في التاريخ العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى 1991م.ص: 210.

18- Pierre Renouvin, La Question de l'extrême orient (1840-1949) Librairie Hachette, Paris 1946.page:62.

النيبون. وضمن هذا السياق، أحس اليابانيون بحرج الفترة التاريخية، وتنبهوا لخطورة العلاقات الدولية المرسومة، فكانوا أمام مخرجين متناقضين، يتمثلان إما في الانكفاء على الذات والاستسلام للضغوط الغربية، مع ما يعنيه ذلك من عدم القدرة على ضبط مفردات الواقع الاجتماعي والسياسي الداخلي وتكرار نموذج الصين في تعاملها مع إنجلترا خلال حرب الأفيون؛ أو ممارسة خطة الهجوم، والتمهيد لذلك بمعرفة العدو واستنتاج آليات القوة التي يرتكز عليها نظامه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي والثقافي، ومحاولة الاستفادة منها لبناء عناصر القوة الداخلية، مع تأجيل النظر في الاتفاقيات غير المتكافئة التي عقدها نظام الباكوفو مع القوى الغربية ابتداء من 1853م.

وضعية المرأة في بعثة إيواكارا.

ضمت البعثة العشرات من المتعلمين، استمر تكوينهم بعد نهاية مهمة البعثة، ومن بينهم خمس متعلمات صغيرات، ذهبن إلى الولايات المتحدة، "ومن أبرزهن تسودا إيموكو TsudaUmeko، التي أسست سنة 1900م المدرسة المشهورة: إعدادية تسودا"[19]. وكانت، حين ذهابها، تبلغ من العمر سبع سنوات.. وعادت إلى اليابان وهي في سن الثامنة عشر[20].

"لم تكن فكرة إرسال الفتيات اليابانيات للتعلم بالخارج مستساغة قبل 1868م"[21]. ومن هذه الزاوية لم تتضمن لائحة المتعلمين الموفدين إلى الخارج، في عهد الباكوفو Bakufu، أسماء نسائية. ويرتبط ذلك بالوضع العام للمرأة في مجتمع ياباني، منح الرجلَ، أبا وزوجا وابنا سلطة ذكورية، تطبعها قيَم الطاعة والولاء الأسري. ويُعبِّر هوشينو إي Hoshino Ai، الرئيس الثاني لمؤسسة كوليدج تسودا عن نظرة المجتمع لتعليم المرأة قائلا:

"من الأفضل ألا تتعلم المرأة، فدورها الأساس يكمن في الطاعة المثلى، علما أن سبيل السلم الاجتماعي يكمن في ثلاث أشكال من الطاعة، طاعة الأب قبل الزواج، وطاعة الزوج بعده، وطاعة الإبن بعد الترمل"[22]. ويتساءل هوشينو، معقبا: "ما جدوى تطوير فكر المرأة وتلقينها أسس حقوقها، في الوقت الذي تقاد في مختلف خطواتها من قِبل الرجل؟"[23]

لم تكن "فكرة إرسال الفتيات للدراسة بالخارج مستساغة قبل عهد الميجي؛ وبعد عودة تسودا، إثر فترة دراستها الطويلة بالولايات المتحدة، أسست ما سمي لاحقا TsudajukuUniversity for women وهي مؤسسة أسهمت، بجانب مؤسسة كيو التي شيد قواعدَها فوكوزاوايوكيتشي، وجامعة NijimasDoshishaUniversity، بدور أساس في دعم التعليم العالي الخاص في تاريخ اليابان الحديث"[24].

---

[19]- Mission Iwakura dans: http://fr.Wikipedia.org/wiki/Mission_Iwakura

[20]- http://jasgp.org/content/view/433/179/

21- Bob Tadashi, Modern Japanese Thought, Publié 1998 Cambridge University Press, page: 61.

22- Karen Kelsky, Women on the vergeJapanese Women, Western Dreams,Duke University Press, 2001, page:40.

23- Ibid, page:40.

24- Bob Tadashi Wakabayashi,Modern Japan thought,Combridge University Press,1998, page: 61.

بعثة إيواكارا بين تحولات الداخل وإكراهات الضغوط الخارجية.

اقترن إرسال هذه البعثة مع مجموعة من الأحداث المهمة في تاريخ اليابان؛ ففي عام 1871م "أنشأ اليابان وزارة التعليم التي تبنت في العام التالي مباشرة خطة طموحة لنظام تعليمي على درجة كبيرة من المركزية والاتساق، على نمط النموذج التعليمي الفرنسي الذي يصل بالطالب إلى مستوى عالي من التعليم والثقافة"[25].

في نفس السنة أصبح التعليم الابتدائي إجباريا، وتم وضع النماذج الغربية في مقررات التعليم العالي[26]. كما اهتم اليابان بتنويع معارف أبنائه بتعدد المناطق التي زارتها بعثة إيواكارا وهي الولايات المتحدة، وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وألمانيا وروسيا والدانمرك وإيطاليا والنمسا وسويسرا؛ ودل ذلك على اهتمام منظري الإصلاح، في يابان الميجي، بمطلب التقانة وتنويع مصادرها، بعيدا عن أي توظيف سياسي أو في سياق استغلال التناقضات السياسية بين دول الغرب الرأسمالي.

كما تميزت هذه السنة بإصدار قرار مهم في 29 غشت 1871م،قضى بإلغاء السينوريات Seigneuries وتحطيم الفوارق الطبقية[27] وتحرير الأقنان؛ وإلى جانب ذلك "تم إرساء حرية التنقل وحرية العقيدة ثم بقية الحريات الفردية كحرية الرأي والتعبير والتجمع"[28].

وتجدر الإشارة إلى أن اليابان شهد قبل ذلك سنة 1869م حدثا متميزا في نمط التحولات العالمية؛ فقد قرر "سادة مقاطعات ساتسوماوشوتشو وتوزا وهيزن وضعَ أراضيهم وساكنتهم تحت تصرف الإمبراطور، وتبعهم في ذلك سادةُ المقاطعات الأخرى...، وقبلت حكومةُ الميجي هذا العرض وعينت السادة القدامى حكاما على مقاطعاتهم"[29]. وهو ما منح اليابان نوعا من التماسك المجتمعي،والانخراط الطوعي في بناء التنمية الوطنية.

اهتمت حكومة الميجي ببناء الداخل واستثمار كافة الإمكانات الداخلية والخارجية المساعدة على تحقيق هذا الهدف الاستراتيجي.

وفي سنة 1870م "قررت الحكومة اليابانية بناء خطوط السكك الحديدية الأولى بين طوكيو ويوكوهاما وكوبي وأوزاكا، واقترضت من أنجلترا الأموال اللازمة لذلك"[30]. وكان الهدف من ذلك "تحقيق الوحدة الاقتصادية وضمان الحماية الوطنية"[31]. وتدل هذه الإجراءات على أوراش العمل الكبرى التي فتحها عهد الميجي مما منح العمق والأساس لتجربة التحديث الياباني التي كانت من أبرز آلياته بعثة إيواكارا.

25- أدوين رايشاور، اليابانيون، ترجمة ليلى الجبالي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 136، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص: 240.

26- C.D.Encarta, Le Japon, Microsoft corporation, 1993-2003.page1

27- Pierre Renouvin, La Question d'extrême orient… op.cit, p: 80.

28- علي المحجوبي، النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر، لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت باليابان، سراس للنشر، تونس 1999، ص: 176.

29- René Grousset et Emile Léonard, Histoire universelle 3, Editions Gallimard, 1958, page: 1551.

30- Pierre Renouvin, La Question …,op.cit, page:92.

31- Ibid, page:92.

بعثة إيواكارا وطبيعة الاستخبار الياباني بالولايات المتحدة وبريطانيا.

كانت البعثة متميزة من حيث الظروف التي انبثقت من خلالها، والأهداف التي رسمتها؛ لقد "تقصت بعثة إيواكارا عن كل شيء في الغرب، بما في ذلك السياسة والاقتصاد والشؤون العسكرية والصناعية والاجتماع والثقافة والفكر. وقد أعدت البعثة تقريرا مكونا من مائة مجلد في خمسة فصول" [32]، وتولى تحريرها مؤرخ الرحلة كينتاكي كيم KunitakeKume. واحتوت هذه الفصول على مشاهدات مفصلة "حول المدارس والمجالس النيابية والمصانع والجيوش والسجون، بل وحتى بيوت البغاء" [33].

"خصص التقرير 20 فصلا لكل من الولايات المتحدة وإنجلترا، و10 فصول لألمانيا، و9 فصول لفرنسا و5 فصول لروسيا، و3 فصول للنمسا و12 فصلا للبلدان الأخرى مجتمعة" [34]. واعتمد مؤرخ البعثة في تدوين معلوماته على المشاهدات العيانية لأفراد البعثة، واستعان في إتمام التقارير على مشاهدات بعض المتعلمين الذين راكموا التجربة أثناء إقامتهم بريطانيا مثلا، ومن بينهم HatakeyamaYoshinar، أحد الطلبة الذين أوفدتهم مقاطعة ساتسوما نحو بريطانيا والولايات المتحدة سنة 1865م و تكلف بمهمة الترجمة وهو يرافق، كيدوتاكايوشي [35]. وتأخرت ترجمة التقرير الذي أنجزه مؤرخ الرحلة إلى اللغة الإنجليزية إلى سنة 2002م [36].

---

[32]- أكيرا تاناكا، عهد الميجي واليابانيون...، مرجع سابق، ص: 24.

[33]- نفسه، ص: 24.

[34]- MIURA Nobutaka, La modernisation du Japon et la France, Conférence à l'Université de Genève, les 5 et 12 janvier 2005,.site:http://www.ksm.fr/miura/geneve1. ,page:18

35- Andrew Cobbin, Life in Victorian London through the Eyes of KumeKunitake, Chronicler of the IwakuraMission,in THE IWAKURA MISSION IN BRITAIN, 1872

The Suntory Centre Suntory and Toyota International Centres for Economics and Related Disciplines London School of Economics and Political Science, London March 1998, page: 6.

[36]- صدر التقرير بعنوان:

The Iwakura Embassy, 1871-1873
(A True Account of the Ambassador Extraordinary and Plenipotentiary's Journey of Observation through the United States of America and Europe)
London: RoutledgeCurzon, 2002 وتضمن خمسة مجلدات على امتداد 2040 صفحة:

* المجلد الأول، الولايات المتحدة الأمريكية وترجمه إلى الإنجليزية Martin Collcutt

* المجلد الثاني، بريطانيا وترجمه Graham Healey

* المجلد الثالث، أوربا القارية-1-: فرنسا وبلجيكا وهولندا وألمانيا وترجمهAndrew Cobbing

* المجلد الرابع، أوربا القارية-2-: روسيا والدانمارك والسويد وإيطاليا والنمسا، وترجمه Peter Kornicki.

* المجلد الخامس، أوربا القارية-3- ومرحلة الرجوع: Switzerland وإسبانيا والبرتغال وفرنسا ومصر والبحر الأحمر والجزيرة العربية وسيلان وStrait of Malacca وسايغون وهونغ كونغ وشنغهاي: وترجمها: Graham Healey, Eugene Soviak, and Chushichi Tsuzuki

دامت الرحلة، داخل الولايات المتحدة، من 15 يناير إلى 6 غشت 1872م، ووصلت إلى سان فرانسيسكو في يناير1872م على متن سفينة أمريكية [40] ومن هناك تم التوجه إلى واشنطن على متن القطار؛ وتنبغي الإشارة إلى أن أفراد البعثة قسموا مجال عملهم، ولم يكونوا "يسافرون كمجموعة واحدة؛ وإذا كان بعضهم مهتما بزيارة المدارس والمصانع والسكك الحديدية، فإن آخرين كانوا يفاوضون رجال الإدارة الأمريكية. وفي نفس الوقت كان بعضهم الآخر يزور المشفيات والجامعات والمتاحف ومكاتب الحكومة بواشنطن، ونيويورك وبوسطن" [41].

وضمن هذا السياق يمكن القول إن "إيواكاراتومومي، الذي قاد البعثة من ميناء يوكوهاما في دجنبر 1871م، لم يكن يعلم أنه لا يجتاز فقط المحيط الهادي، ولكن أيضا حقبا تاريخية" [42] طويلة وممتدة.

مع بداية المحادثات، "اكتشف المفاوضون اليابانيون فسحة الأمل القليلة في إحراز الهدف المعلن للبعثة" [43]. وهو مراجعة الاتفاقات السالفة التي وقعها حكام التوكوجاوا مع الدول الغربية، مما دفع اليابانيين للتفرغ للمهمة الاستخبارية عن قوة الحضارة الغربية.

اعتبر كيدوتاكايوشي (1833-1877م) من أبرز قادة بعثة إيواكارا، فقد اطلع على التعليم العسكري الغربي بإيدو، وأسهم بدور مهم في حركة ما يسمى sonnojoi undo"أيقظوا الإمبراطور واطردوا البرابرة"، وأشرف على عقد التحالف الذي جمع مقاطعتي ساتسوماوشوتشو سنة 1866م [44] الذي نجح في الإطاحة بنظام الباكوفو وأرجع السلطة إلى الإمبراطور الميجي، وتحدث عن مشاهداته بالولايات المتحدة قائلا:

"قمنا بزيارة ثلاثة مدارس ابتدائية، ضمت الكبيرة منها ما بين 1300 و1400 طفل.. كما اقتصر التعليم في بعضها على أحد الجنسين فقط، في حين ضم بعضُها الآخر الذكورَ والإناث" [45]. ويتابع "من اللازم أن تكون لنا مدارس إذا أردنا تشجيع تقدم بلدنا وتحضره، كما يتوجب علينا تحسين معارف طلبتنا، وبناء قوتنا والحفاظ على استقلالنا وسيادتنا" [46].

وصف كيدو مشاهداته بالولايات المتحدة، ولفت اهتمامَه النموذجُ التعليمي الأمريكي، واستحضر، بشكل ضمني، عللَ التعليم والإدارة باليابان، ودعا إلى ضرورة الاعتناء بهذا القطاع، واعتبره حجرَ الزاوية في أية مقاربة تنموية داخل مجتمع النيبون.

37- Dorothy Perkins , Japan Goes to War: A Chronology of Japanese Military Expansion from the Meiji Era to the Attack on Pearl Harbor, 1868-1941, Publié1997.DIANE Publishing, page: 43.

38- William G. Beasley, The rise of modern Japan, Publié 1990 St. Martin's Press; page: 40.

39- Michael R. AuslinNegotiating with Imperialism: The Unequal Treaties and the Culture of Japanese Diplomacy. Publié 2004Press, page: 176.

[40]- Wiliam Gerald Beasly,collected writings of W.G.Beasly.Routledge, Japan ,2001 ,page: 34.

[41]- Kido, Takayoshi,http://www.ndl.go.jp/portrait/e/datas/65.html؟c=0

42- DaikichiIrokawa, The Culture of the Meiji Period, Traduit par Marius B. Jansen, Collaborateur Marius B Jansen, Publié 1985Princeton UniversityPress, page: 54.

43- DaikichiIrokawa, The Culture of the Meiji Period,…, op. cit, page:54.

وبحس استخباري أورد تاكايوشي معلومات تتعلق بحجم البنية التربوية الأمريكية سنة 1872م، فذكر وجود 141700 مدرسة و221400 مدرس و7210000 متعلم [43]، وانتقل من مهمة الوصف إلى حالة المقارنة مع الواقع التربوي الياباني، ودعا إلى تدارك عناصر الخلل في المنظومة التعليمية ليابان الميجي وحسم موقفه مقررا:

"من الآن فصاعدا، ما لم نمنح قدرا كبيرا من الاهتمام لأطفالنا، فإن الحفاظ على النظام العام في بلدنا سيكون مستحيلا"[44]. وهكذا يصبح التعليم مطلبا تنمويا، تتأسس، بمقتضاه، قواعد الأمن الجماعي للدولة والمجتمع في يابان الميجي.

وانسجاما مع هذه الرؤية، عبر موري أرينوري، الذي تقلد منصب وزير التعليم فيما بعد، في شتنبر 1872م، عن قيمة التعليم والانفتاح على التجارب البشرية الرائدة، مجملا: "يجب اعتبار المعارف التي تقدمها الإبداعاتُ البشرية في العالم، عنصرا من عناصر القوة"[45]. وقد شكلت هذه الإشارات مقدمة أساسية لتفعيل المشاهدات والتقارير، داخل مجتمع متحفز للتغيير، وضمن إطار نظام سياسي وإداري يروم التخلي عن مستلزمات سياسة العزلة، والتحلي بالأنماط التعليمية والتقنية الوافدة.

في فبراير 1871م، "أبلغ موري Moriالطلبة اليابانيين الذين كانوا يتابعون دراستهم بالولايات المتحدة، بضرورة مده بمقالات قصيرة، من اختيارهم الخاص، حول المواضيع الاجتماعية والثقافية" [46].

قدم أرينوي موري دعما معنويا لبعثة إيواكارا، بتوجيهه لسير المفاوضات، وتهيئة الظروف المناسبة للمباحثات اليابانية الأمريكية. وقد زار إنجلترا والقارة الأوربية وأمريكا، وتعرف "على الغرب تعرفا حميما أكثر من أي شخصية أخرى في عصر الميجي، وكان يدعو، بوضوح زائد، إلى فكرة أن اليابان بحاجة إلى أن يستوعب كل ما يستطيع من معارف الغرب، وكان ينصح الشباب اليابانيين الذين يدرسون في الولايات المتحدة بالزواج من أمريكيات لتحسين الصفات الوراثية للأمة اليابانية[47]. في سنة 1885م أصبح موري أولَ وزير للتعليم في اليابان، واعتبر بأن الهدف من التعليم" في اليابان ليس تكوين أناس يستوعبون تقنيات العلوم والآداب والفنون، وإنما هو تهيئة الأشخاص المطلوبين للدولة"[48].

في فبراير 1871م، التقى موري بكل من نييجيما جو (1843 – 1890) Niijima Jo أحد الطلبة المرافقين للبعثة وتاناكافيجيمارو Tanaka Fujimaro (19091845 - م) ممثل مديرية التعليم لدى بعثة إيواكارا، وقد اقترح موري على نييجيما، بسبب إتقانه اللغة الإنجليزية، العملَ كمترجم لدى تاناكا، أثناء زيارته للمدارس والإعداديات بشرق الولايات المتحدة[49]؛ إلا أنه رفض ذلك ودخل في مناورات للحصول على تعويض مالي مقابل ذلك.

44- Ibid, page:54.

45_ Ibid, page:54.

46- Arinori Mori, MoriArinori, Akira Iriye, John E. Van Sant, Mori Arinori's Life and Resources in America, Publié 2004 Lexington Books, page: XLI

47- Ibid, page: XXII.

48- باتريك سميث، اليابان، رؤية جديدة، سلسلة عالم المعرفة، عدد 268، 2001م، الكويت، ص: 119.

49- نفسه، ص: 130.

50- John E. Van Sant, Roger Daniels, Pacific Pioneers Japanese Journeys to America and Hawaii, 1850-80, University of Illinois Press2000, page: 74.

تمتع نييجيما بتجربة مهمة منذ نهاية عهد الإيدو: ففي 1860م ولجَ مؤسسةَ السفانة الحربية، وفي 1864م التحق بالولايات المتحدة كمهاجر سري، حيث درس العلوم والثيولوجيا، وفي 1866م التحق ببوسطن، وفي 1872م كُلف، من خلال بعثة إيواكارا، بدراسة النظم التعليمية[51].

والأكيد أن نييجيما حصل على شروطه، ويتضح ذلك من خلال موافقته على طلب تاناكافيجيمارو ومرافقته إياه إلى أوربا لزيارة المدارس التعليمية [52].

اشتغل أفراد البعثة في إطار نظام المجموعات، وثوج عملهم بإصدار "تقرير بعنوان:

RijiKotei، وهو عبارة عن سجل وصفَ النظم التربوية والتطبيقية بالبلدان الغربية، وتم تقديمه للحكومة، وتضمن النصوص المنظمة للمدارس بكل من الولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا وبلجيكا وألمانيا وهولندا والدانمارك وروسيا" [53].

يعد موري أرينوري مثال المثقف الياباني الذي رأى في النموذج الأمريكي ضالَته ومتمنياتِه، "وكان دائمَ الانتقاد للأسلوب الذي سارت عليه المحادثات اليابانية مع الأمريكيين، حيث اهتمت سفارة إيواكارا، في مفاوضاتها بمسألة المزيد من الاحترام الدولي تجاه اليابان" [54]. وهي قضية لم يكن من السهولة النجاح في تحقيقها دون حضور مقدمات القوة المادية والمعنوية. وقد يكون الحماس الزائد لموري، وتنكره لبعض مظاهر القداسة اليابانية، سببا في اغتياله ساعات قليلة قبل حضور الحفل الإمبراطوري بمناسبة الإعلان عن الدستور الياباني سنة 1889م.

من خلال الزيارات الميدانية لأوراش الصناعات المختلفة، والقطاعات المدنية والاجتماعية المتباينة، "أدرك أعضاء بعثة إيواكارا أهمية القوة العسكرية في الحفاظ على السيادة اليابانية، وفي نفس الوقت تبين لهم أهمية أن يتبوأ اليابان مكانة تجعل منه قوة ذات سيادة على المستوى العالمي"[55]. وتبدو مقدمات الفكر التوسعي جلية من خلال ما أورده إيواكارا في وثيقة هيأها بعنوان «ورقة حول العلاقات الدبلوماسية»، كتب فيها ما يلي: "لا ينبغي لنا تحمل الإهانة. يجب أن نوسع مجالنا الحيوي"[56].

لم تكن انطباعات إيواكارا ومن قبله، كيدو وموري وغيرهم لونا من التنظير والتنبيه لعالم الخلل، بل قُدر لهذه الملاحظات أن تجد طريقها للتطبيق بسرعة قياسية، ففي "فاتح فبراير 1872م،

51- http://www.ndl.go.jp/portrait/e/datas/157.html

52- John E. Van Sant, Roger Daniels, op.cit, page: 74.

53- JAPAN'S MODERN EDUCATIONAL SYSTEM,

CHAPTER II THE FORMATION OF THE MODERN EDUCATIONAL SYSTEM

3- Education during the Period of the Education System Order

(1) The Enforcement of the Education System Order

c. Tanaka Fujimaro and David Murray.

54- Arinori Mori, MoriArinori, Akira Iriye, John E. Van Sant, Mori Arinori's Life and Resources in America, Publié 2004Lexington Books,page:XXIX

55- Alexis Dudden, Japan's Colonization of Korea: Discourse and Power, Publié 2004, University of Hawaii Press, page: 50.

56- Ibid, page:50.

أعلنت وزارة التربية في اليابان عن إحداث مدارس التعليم الابتدائي العمومي في مقاطعة طوكيو"[56]. واتسم "اليابانيون الذين سافروا إلى الخارج آنذاك بقوة الملاحظة...و كانوا يحملون معهم كراسات الرسم يرسمون فيها كل شيء يرونه تقريبا"[57].

يستطيع اليابانيون التكيف مع الأوضاع المستجدة، وينتقلون من موقع إلى آخر بيسر وذكاء، ومن هذه الزاوية لم يفوت قادة بعثة إيواكارا الفرصة، ووضعوا لأجندتهم مجموعة من المخارج والحلول، ومنها التركيز على دراسة النظم والمؤسسات الأمريكية، وشكلوا بذلك استمرارية لبعثات الباكوفو إلى الولايات المتحدة سنتي 1860 و1867م، مع فارق جوهري، يتعلق بالحرية الواسعة التي تمتع بها رفاق إيواكارا في الاطلاع على مختلف مظاهر التحديث الأمريكي، في حين خضع أعضاء بعثات الباكوفو لرقابة صارمة ترجمت قرارات سياسة العزلة الطوعية.

مكثت البعثة بالولايات المتحدة مدة 205 يوما، وتأثر أعضاؤها بما شاهدوه من قوة المؤسسات الحكومية، وحيوية المجتمع الأمريكي[58]؛ وفي "نهاية 1872م، توجه أعضاء البعثة نحو بريطانيا، ومكثوا بها خمسة أشهر"[59]. وبها حددت البعثة لأعضائها ثلاثة أهداف رئيسة:

- دراسة القوانين والمؤسسات السياسية، ومن ضمنها غرفتي البرلمان.
- دراسة البنية الاقتصادية، الصناعية والنقل والمواصلات وقطاع البنوك ونظام الضرائب.
- تحليل خصوصيات النظام التعليمي، ووسائل التكوين العسكري والبحري، وإدارة المتاحف"[60].

ويتضح، من خلال مسيرة البعثة، تركيزها على امتلاك العلم والمعرفة، وبذل الجهد المادي والمعنوي للاستخبار والاستفسار عن مرتكزات القوة الغربية، التي أهانت الشعور الياباني منذ زمن حملة بيري على الشواطئ اليابانية عام 1853م.

أثناء الإقامة ببريطانيا، "توجهت بعثة إيواكارا نحو كل المدن الرئيسة...وزارت المدارس الابتدائية، وحديقة الحيوانات بلندن، ومتاحف كينسيغتون Kensington وكريستال بلاص Crystal Palace..وجامعة إيديمبورغ."[61]

57- DaikichiIrokawa, The Culture of the Meiji Period, Traduit par Marius B. Jansen, Collaborateur Marius B Jansen, Publié 1985Princeton UniversityPress, page: 55.

[58]- شارل عيساوي...، مرجع سابق، ص: 190.

59- MakiyoHori,the constitution of Japan:alogicial extensions of the ueki draft constitution (1881)and the American constitution's Bill of rights, in: Joseph Barton Starr, The United States ConstitutionIts Birth, Growth and Influence in Asia, Hong Kong University Press,1988,page,217-224,page:217

60- Andrew Cobbin, Life in Victorian London through the Eyes of KumeKunitake, Chronicler of the IwakuraMission,in THE IWAKURA MISSION IN BRITAIN, The Suntory Centre, Suntory and Toyota International Centre for Economics and Related Disciplines London School of Economics and Political Science

London ,March 1998, pages: 5-13, page: 5.

[61]- Akiko Ohta, The Iwakura Mission in Britain:their observations on education and Victorian society.in THE IWAKURA MISSION IN BRITAIN.op.cit,page:14-25,page:14

[62]-Ibid,page: 15.

وفي" جامعة كلاسكو، سأل إيتوهيروبومي الأستاذ ماكورنرانكين McQuornRankine، قائلا: "من فضلكم أستاذ رانكين كيف يمكننا إقامة معمل لصناعة السلاح باليابان ؟ فأجاب إنه من الأفضل لليابان أن يؤسس مدرسة لتكوين شبان صغار في ميدان الهندسة." [62]

حملت بعثة إيواكارا هاجسَ السؤال، ورامت التقاط أكبر قدر من المعلومات الدقيقة حول الغرب، وفي نفس الآن تملكها عنصر التحدي والبحث عن الوسائل التي تمكن من كسب رهان التحديث، والوصول إلى مصاف القوى الغربية.

"وأثناء التفاوض...، حصل اليابانيون على معلومات كافية حول عدوهم، وحول النموذج الذي يمكن اتباعه، بشكل أقنعهم بضرورة الإصلاح الجذري والشامل على النمط الغربي في مجالات العلم والمعرفة بالسياسة الدولية، قبل الدخول في مفاوضات متكافئة مع الغرب" [63].

في سنة 1871م اقترح "إيتوهيروبومي على فوكوشيجينيشيرو Fukuchi Gen'ichiro الانضمام إلى بعثة إيواكارا لدراسة النظام البنكي" [64]. و كان أحد أبرز المتعلمين الموفدين إلى أوربا في البعثة التي أرسلها الباكوفو سنة 1862م. وهي ملاحظة تستدعي التوقف والتأمل، ذلك بأن أبرز قادة بعثة إيواكارا سبق له الانتساب للبعثات التي أشرف عليها الباكوفو منذ 1860م، والوفود التعليمية التي نظمتها المقاطعات الفيودالية المعارضة للحكم المركزي مثل ساتسوماوشوتشووهيزن وطوزا. ويمكن ذكر العديد من الأسماء المخضرمة التي عايشت المرحلتين، ومنهم نكائي شومينNakaeChomin، وكانيكوكينتارو Kaneko Kentaro، إضافة إلى قادة البعثة وفي مقدمتهم إيتوهيروبومي، وكيدو تاكايوشي، وهو ما منح أفرادها المزيد من النضج والفعالية في مقاربة اختلالات الداخل وفي الانفتاح الإيجابي على دوائر الغرب التحديثية.

بعثة إيواكارا والعلاقة مع الدولة العثمانية.

يمكن تسجيل ملاحظات اتصفت بها بعثة إيواكارا وهي قدرة قادتها على استثمار الكفاءات وتوجيهها نحو الأهداف الاستراتيجية لليابان، وهو ما لاحظناه من خلال تكليف بعض المتعلمين بدراسة النظم القانونية والتعليمية ببعض الدول الأوربية أو الاضطلاع بمهمات الترجمة وتقديم الاستشارة للمفوضين اليابانيين. ومن هذا الجانب كَلَفَ قائدُ البعثة إيواكارا فوكوشيجينيشيرو بزيارة إسطنبول "لدراسة ظروف الاتفاقيات الاستسلامية التي وقعها الباب العالي و تشابهها مع مأزق الاتفاقات غير المتكافئة التي وقعها اليابان مع القوى الغربية" [65]. وبالفعل نشأ اتصال دبلوماسي بين اليابان والدولة العلية وبعض إيالتها وفي مقدمتها مصر. ووجه الإمبراطور الميجي رسالة إلى السلطان عبد الحميد الثاني (1867-1912م) زمنَ وجود جمال الدين الأفغاني بإسطنبول وجاء فيها:

"...، من مصلحتنا ومصلحة شعوبنا تعميق التعارف بيننا، وإرساء علاقات أخوية والتعاون في مواجهة دول غربية،... تنظر إلينا بالعداوة على حد سواء. يرسل الغرب إلى بلدنا بعثاته التبشيرية،

63- Olive Checkland, The Iwakura Mission, industries and exports, in THE IWAKURA MISSION IN BRITAIN.op.cit, page: 26-35 ,page: 26.

64- William K. Tabb, The Postwar Japanese System Cultural Economy and Economic Transformation, Publié 1995Oxford University PressUS.page:68.

65- James L. Huffman, Creating a Public People and Press in Meiji Japan, Publié 1997,University of Hawaii Press,page:52.

66- Bert Edstrom,The Japanese and Europe:Images and perceptions, Routledge, 2000, page: 102.

لتبديل ديانة رعايانا، مستغلين في ذلك حرية التدين التي نتمتع بها. أحسب أنكم لن تنهجوا نفس المعاملة الغربية، وأطلب منكم إيفاد وعاظ يوضحون مبادئ دينكم -الإسلام- كرابطة روحية بيننا" [67].

لا يمكن المرور على النصوص اليابانية دون التساؤل حول مضامينها والإشارات الرمزية التي تحملها. ويبدو أن خطاب الميجي لامس الهاجسَ الأساس الذي ظل يؤرق ساسة الآستانة، وهو تزايد النفوذ الغربي بمركز الدولة وأطرافها مع ما يعنيه ذلك من تبشير وتهديد الكينونة الإسلامية. وقد وضع النص الدولتين —اليابان والدولة العثمانية- على قدم المساواة أمام المعاناة من سطوة النفوذ الغربي، مما عجل بعقد اجتماع استثنائي حضره السلطان وشيخ الإسلام ووزير التعليم وكذا جمال الدين الأفغاني وخرج بقرار "بعث رسالة مهذبة إلى إمبراطور اليابان وإرفاقها بهدية مناسبة، وإعلامه بأن طلبه حظي بموافقة سامية، ويحتاج تنفيذه إلى وسائل مرضية" [68].

هل كان الميجي صادقا في الدعوة التي قدمها لآل عثمان، وهو الشخص الذي كان يُنظر إليه في المخيال الياباني على أنه من سلالة الآلهة، وظل المجتمع الياباني، خلال فترة حكمه، وفيا لطقوسه الأسطورية؟ ألم يكن اليابانيون على علم تام، من خلال بعثة إيواكارا والتمثيليات الدبلوماسية والعلاقات التي بدأت تنسج مع بريطانيا، بتفاصيل المسألة الشرقية والدور الروسي القيصري في إذكاء التناقضات داخل الدولة العثمانية وشن الحروب عليها وانتزاع الاتفاقات المجحفة منها، وهي نفس الدولة التي أحس اليابانيون بخطورتها الاستراتيجية عندما تزايدت أطماعها في كوريا؟

يمكن القول إن القضية لم تتعد تحفيز الباب العالي لتمتين العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين بشكل يبعثر الجهود الروسية بين الشرق والغرب، وإن قضية الإسلام وإرسال الدعاة إلى اليابان مجرد وسيلة آنية يتم من خلالها تأسيس هذه العلاقات.

حاول هيروشيناكابا Hiroshi Nagaba تتبع البدايات الأولى للعلاقات بين الدولتين، وأرجعها إلى عهد الإيدو. وقد حصل الباكوفو، في نظره على معلومات حول الاقتصاد التركي والقضايا الاجتماعية والسياسية عن طريق كتابات بعض الأوربيين الذين زاروا اليابان ومنهم GiovannniBatista Siddoti(1668-1715)، الذي سافر إلى أرض الميكادو في أواخر القرن السابع عشر للميلاد. وشكلت مادةُ رحلتِه أساسَ ما دونه AraiHakuseki(1657-1724)، ومما قاله: "يتميز الشعب التركي بالشجاعة...، كما يتصف جيشهم بالقوة، حيث يمكنه تعبئة 200.000 جندي في اليوم الواحد. ويقال إن الدول الأوربية تستجمع قواها استعدادا للحرب ضد تركيا" [69].

كان قادة بعثة إيواكارا على علم بطبيعة التحديات التي بدأت تواجهها الدولة العثمانية خلال هذه الفترة، التي انتقل فيها اليابانيون من مجرد معرفة الآخر إلى نسج علاقات ديبلوماسية معه استعدادا لمواجهة إمكانات التوسع الروسي في المناطق القريبة من اليابان وتوظيف المسألة الشرقية ضمن أجندة السياسة الخارجية اليابانية. وكان فوكوشيجينيشيرو FukuchiGen'ichiro وموكورايشيماجي MokuraiShimaji أول من وضعا قدميهما على أرض تركيا. [70] ففي فبراير 1873م التحق فوكوشي ببعثة إيواكارا وكلف ببعض المهام ومنها دراسة النظم الاقتصادية والسياسية العثمانية. و في عشرينات القرن التاسع عشر وجه تيراجيما Terajima رسالة إلى

67- Charles Kurzman, Modernist Islam, 1840-1940 A Source book ,Oxford University Press US, 2002, page: 83.

68- Ibid, page:84

[69]- Hiroshi Nagaba, Japan and Turkey historical process for diplomatique relations, perceptions/Volume2/September-November1997, page1-8, page:1

[70]- Ibid.

UenoKaoru وزير الخارجية الياباني، جاء فيها: "تشبه تركيا بلدنا في العديد من المسائل، وإذا أرسلنا مبعوثا أو مراقبا إلى هذا البلد فبإمكاننا جني العديد من المزايا... وعلى ضوء ذلك، وبالنظر لعدم وجود علاقات تجارية بيننا أود منك أن تبلغ، سرا، السفير التركي في لندن رغبتنا في إقامة علاقات صداقة بين بلدينا"[71].

بعثة إيواكارا والمسألة الدستورية.

لم يكن اليابان البلد الوحيد، في آسيا، الذي يأخذ بالحكم الأوتوقراطي، لكنه "قدم أول تجربة تمثيلية في مجال الحكم داخل القارة"[72].

حملت البعثة أرقَ السؤال، وقلق مواكبة التحديث الغربي، وأشار المؤرخ كينتاكي كيم KunitakeKume، إلى ملامح المقدمات الدستورية في فكر النخبة اليابانية، قائلا:

"تحت تأثير الثورة الفرنسية، ضاعفت الدول الأوربية من حرية شعوبها، وتبنت الأشكال الدستورية في نظامها السياسي"[73].وبإشارة تحمل النقد المبطن للنظام السياسي في يابان الميجي ودعوة إلى تجاوزه نحو اعتماد منطق الدستور في توزيع الاختصاصات والأدوار، قال: "بالرغم من أخذ النمسا بالنظام الملكي، فقد اختارت النظام الدستوري قبل عشرين عاما. وتعمل روسيا، رغم نظامها الأوتوقراطي منذ السنوات العشر الماضية على منح المزيد من الحريات لشعبها"[74]. وهي إشارة تهدف إلى ضرورة اقتفاء النظام الإمبراطوري في اليابان نفس الخطوات الغربية.

اختلف اليابانيون في النموذج الدستوري الذي يمكن أن يؤطر الحياة السياسية اليابان ففي سنة 1881م، "قارن إيواكارا بين نصوص الدستور البريطاني والدستور البروسي، واستنتج بأن اليابان، التي تغيب فيه تقاليد التعددية السياسية، غير مؤهل للأخذ بالنموذج البريطاني"[75]. مختلفا بذلك مع شيجونوبوأوكوما Shigenobuokuma (1838-1922م)، وهو "أحد السياسيين المناصرين للنموذج البريطاني، الذي اضطر للاستقالة من الحكومة في أكتوبر سنة 1881م"[76].

وموازاة مع إيفاد البعثة نحو الخارج، بدأت المحاولات الأولى لوضع قواعد النظام الدستوري، فقد نبه مياجيما MIYAJIMA Seiichiro سييشيرو سنة 1872م إلى أهمية تحرير دستور وطني، يوضح حقوق وواجبات المواطن الياباني تجاه الحكومة، واقترح تأسيس جمعية وطنية تشريعية[77]. ولا شك أن الفكرة والاقتراح تطلبا مساحة زمنية تسمح بالاطلاع على التجارب الغربية للاستفادة من المدونات الدستورية البروسية والإنجليزية، وتكلف إيتوهيروبومي، من بعد، بتكوين فريق خاص لإنجاز هذه المهمة التي جاءت تتويجا لسيرورة من التحولات الداخلية والخارجية التي شهدتها اليابان خلال عهد الميجي.

71- Bert Edström,op.cit,page:103

72- Dorothy Perkins, Japan Goes to War…, op.cit…, page: 55.

73- DaikichiIrokawa, The Culture of the Meiji Period, op.cit, page:57

74- Ibid, page:57.

75- Joseph Barton Starr, The United States Constitution :Its Birth, Growth and Influence in Asia, Publié 1988, Hong Kong University Press, page: 218.

76- Ibid, page: 218.

77- Initial steps toward a constitutional state, 1-5 Proposal for Drafting a Constitution. in: http://www.ndl.go.jp/modern/e/cha1/description05.html#c151

بعثة إيواكارا ومنطق القوة الألمانية.

من مفارقات الأحداث أن بعثة إيواكارا زارت القارة الأوربية بعد أن شهدت هذه الأخيرة حدثا مدويا تمثل في الحرب البروسية الفرنسية، وما أسفرت عنه من بروز قوة جديدة في قلب أوربا، أهانت الكبرياء الفرنسي وألزمت ساسته بدفع غرامة حربية ثقيلة، واقتطعت، من مجاله الترابي، منطقتي الألزاسواللورين.

من هنا رأت بعثة إيواكارا في النموذج البيسماركي ضالتها المنشودة، ونموذجها التحديثي البارز لاعتبارات أوجه التشابه الكبير بين طبيعة تشكل الدولة في كل من يابان الميجي وألمانيا في عهد بيسمارك,Bismarck ؛ كما حتم الانتصارُ الألماني الكبير على أعضاء بعثة إيواكارا ضرورةَ الوقوف أمام آليات النظام العسكري البروسي، وخصوصيات الدستور البروسي، باعتبارهما مقدمتين تفسران معالم القوة الجرمانية التي احتلت مكانة متميزة في مشهد القوة الغربية، ابتداء من سبعينيات القرن التاسع عشر.

التقى أعضاء البعثة اليابانية بالمستشار الألماني أوتو فون بيسمارك، ومما ذكره لهم: "يقال، في الوقت الحاضر، إن أساس التعامل الدولي يقوم على قيم الصداقة والوئام والمجاملة، بيد أن ذلك لا يعدو أن يكون لغوا ، فوراء ذلك تكمن معاملات أخرى، تتمثل في الإهانات التي يمارسها القوي على الضعيف، وازدراء الكبير للصغير.

عندما كنت طفلا، كانت بروسيا فقيرة وضعيفة...، وأظن أن ما يسمى بالقانون الدولي، لا يخدم سوى أهداف القوى الكبرى: فإذا كان القانون يحقق مصالحها، فإنها تسعى إلى تطبيقه حرفيا، أما إذا فقد جاذبيته بالنسبة لها، فإنها ترمي به جانبا، وتستعمل القوة بغض النظر عن طبيعة الوسيلة المستخدمة"[78].

لقد كان خطاب القوة، الذي سجله كيم أكثر وضوحا لدى فون مولتكي Von Moltke، حيث قال "لا يجب أن تركز الحكومة على الأولويات الاقتصادية بتخفيض الديون والضرائب، باعتبار حيوية هذه المداخيل بالنسبة للمصالح الخارجية الجرمانية. وإذا كانت مبادئ القانون والعدالة والحرية ضرورية لحماية بلدنا على المستوى الداخلي، فإن القوة العسكرية هي الوسيلة الوحيدة لحمايته على الصعيد الخارجي"[79].

سمع اليابانيون لغة القوة من رجلي دولة اعتمدا وسيلة الحديد والنار في تحقيق الوحدة الألمانية، وفي دحر القوات الفرنسية وإرغامها على دفع غرامة حربية ثقيلة. كما كانت لبيسمارك آراؤه الاقتصادية التي دافع من خلالها على الحمائية التجارية، في مقابل سياسة الانفتاح التجاري الذي أخذت به بريطانيا العظمى. ولذا لا نستغرب الاقتفاء الياباني لخطوات التحديث البروسي، في شقه العسكري والدستوري، وفي إرسال المزيد من أفراد البعثات التعليمية إلى بلاد الجرمان، وفي نهج سياسة حمائية تحاكي النموذج التجاري البروسي.

وانسجمت آراء فوكوزاوايوكيتشي مع منطق القوة الذي أسسته المدرسة الألمانية، وعبر عن ذلك صراحة في مقالته Whatevery man should know about the rights of nations

---

78- Nisuke Ando, KokusaihōGakkai, Japan and International LawPast, Present and Future,Edited by Japanese Assoc. of International Law and Nisuke AndoPublié 1999 MartinusNijhoff- Publishers, page: 354.

79- ICHIKAWA Shin-ichi, La Mission Iwakura (1871-1873) et la France,page: 119-129, page:127, site:

http://www.waseda.jp/prj-med_inst/bulletin/bull04/04_11ich.pdf

ما ينبغي أن يعلمه كل إنسان حول حقوق الأمم، قائلا:

"من الواضح أن هناك أسلوبين لاستمرار الحياة الإنسانية، فإما أن تقتل أو تقتل، ولا تخرج طبيعة العلاقات الدولية في مستوياتها الدنيا عن هذا المبدأ. تكتسي معاهدات التجارة والصداقة وحقوق الأمم عبارات جميلة، لكنها مجرد مظاهر مهذبة وخادعة"[79]. وكان يدرك من خلال ذلك" ضرورة وجود يابان قوي للدفاع عن مصالحه"[80] الإستراتيجية.

من هذه الزاوية واجهت الدولة اليابانية الحديثة، حسب Bernd Martin، تحديين أساسين، تطلبا من رجال الميجي حلا سريعا: تمثل التحدي الأول في كيفية الجمع بين مختلف القوات العسكرية القديمة المنتمية للمقاطعات الفيودالية داخل مؤسسة عسكرية حديثة واحدة، بشكل يخدم السياسة الوطنية العامة.

وتمثل التحدي الثاني في البحث عن إيديولوجيا متماسكة تمنح لليابان هوية وطنية جديدة[81]. وفي هذا الإطار يمكن فهم الحركية الدائبة التي طبعت البعثات التعليمية اليابانية نحو الخارج، ووقوف قادتها مليا أمام المثال البروسي الذي أنار لهم معالم طريق التحديث العسكري والقانوني والفلسفي.

تنبغي الإشارة إلى أن يوكيتشي Yukichiأثناء رحلته إلى أوربا سنة 1862م، أشار بعبارة متميزة للنموذج البروسي، قائلا: "... أجد ذكرا لقوة عظيمة ناشئة —بروسيا- مع انتشار نفوذها كشمس مشرقة"[82]. وهي صفة -شروق الشمس- نسجتها الطموحات اليابانية منذ تأسيس تجربة الميجي إلى نهاية الحرب العالمية الثانية باستعمال لغة الحديد والدم.

تبدو ملامح التأثر بالنموذج البروسي من خلال ما سجله مؤرخ البعثة كيم، حيث قال: "يختلف البروس عن الإنجليز والفرنسيين: فهم يبحثون عن سبل تقوية بلدانهم عن طريق مزايا التجارة البحرية؛ ويجلبون، من البلدان النائية، الموادَ الأولية الضرورية للمانفاكتورات، ثم يعيدون تصديرَها في اتجاهات مختلفة؛ في حين مدت بروسيا نفوذها داخل البلدان النائية عن طريق مشاريعها العسكرية؛ وتشبه ملامح سياستها الداخلية كثيرا الوضع في اليابان، وتكمن سبل نجاحنا في دراسة سياسة هذا البلد وعاداته، عوض ما تأخذ به بريطانيا وفرنسا"[83].

من جهة أخرى تأثر أفراد البعثة اليابانية "بالاحترام الذي يكنه الألمان للإمبراطور وللمسألة العسكرية، كما أعجبوا بدور الرايخستاخ الألماني الذي دعم الاختيارات العسكرية"[84].

---

[80]- Klaus Schlichmann, Faculty of comparative culture , Sophia Unniversity, Japan Germany and the idea of the Hague peace confernces, Journal of peace research , vol: 40, no:4, Sage publications London, thousand Oaks, CA and new Delhi, 2003 , pp:385-402, page:387.

[81]- Ibid, page:387

82- Bernd Martin,Japan and Germany in the Modern World, Publié par Berghahn Books, 2006,page:19.

83-فوكوزاوايوكيتشي، سيرة فوكوزاوا...مصدر سابق، ص:166.

84- ICHIKAWA Shin-ichi, La Mission Iwakura (1871-1873) et la France,page:119-129, page:119. site: http://www.waseda.jp/prjmed_inst/bulletin/bull04/04_11ich.pdf,page:120

85- MakiyoHori,The constitution of Japan, The United states constitution: its birth growth and influence in Asia Joseph Barton Starr, American studies,Hong-kong University Press,1988.,in page:218

يفصح النص عن الضالة التي تفاعل معها العقل السياسي الياباني ووجد فيها النموذج والمثال الذي يصلح لأن يكون قدوة في مسيرة التحديث الداخلي. ويمكن تفسير ذلك بمجموعة من المقدمات ومن أبرزها حداثة البناء السياسي داخل الدولتين، والاعتزاز بالانتماء القومي«المقدس»، وقيام أساس الدولة، داخل البلدين، على النمط الإمبراطوري، مع ما يحمله ذلك من رموز أسطورية وكاريزماتية سياسية.

وإذا كان أوكيبوتوميشيمي "متأثرا بالنموذجين الاقتصاديين لكل من بريطانيا وألمانيا، فإنه كان منجذبا إلى بيروقراطية النظام الألماني المركزي. ورأى في ألمانيا مرآة عاكسة لطموحات اليابان"[86] كما أن "إيتوهيروبومي وبعض أعضاء مقاطعته ومنهم عسكريان إثنان وهما ياماغاتا Yamagata وكاتسورا katsura انحازوا إلى الأخذ بمفهوم التحديث البروسي"[87].

ركزت البعثات التعليمية اليابانية في ألمانيا على الأخذ من العلوم العسكرية وعلوم الطب ودراسة القوانين ومدونات الإصلاح المجتمعي[88]؛ وسجل مؤرخ الرحلة في إشارة لا تخلو من طرافة ورمزية دالتين ما يلي:

" يقال في أوربا: إنه إذا أُسند أداءُ مهمة لخمسة أشخاص من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وأمريكا في مدة ست ساعات،فإن الأمريكي ينجز المهمة في مدة أربع ساعات،ويقضي الوقت المتبقي -ساعتان- في التجوال؛ أما الفرنسي فينهي مهمته في أربع ساعات ويخصص الوقت المتبقي في الغناء؛ وبخصوص الإنجليزي فتدوم مهمته خمس ساعات وينجز عملا آخر في الساعة المتبقية؛ لكن الألماني لا تكفيه ست ساعات ويستأنف مهمته في المساء، ويواصل العمل حتى في أوقات الفراغ"[89].

ومن بين النماذج المسجلة رأى اليابانيون في المثال الألماني ما يصلح لأن يكون حالة للاقتداء والتمثل. ومن هذه الزاوية لا غرابة أن يكون المجتمع الياباني خلية نحل لا تهدأ من حركة دائبة لا تتوقف.

مثلت الأخلاق البروتستانتية حاضنا أخلاقيا لتمجيد العمل والاقتصاد في الجهد؛ وفي الجهة المقابلة حفزت بعثة إيواكارا ومشاهداتها العقلَ الياباني على توظيف قيم الساموراي في تحقيق نفس الإنجاز الجرماني.

وجدت الملاحظات الدقيقة التي سجلتها مذكرات البعثة طريقَها إلى التنفيذ، بأساليب تدل على عمق في التفكير وحكمة في التنزيل على أرض الواقع الياباني؛ ومن هنا يمكن فهم بدء حكومة الميجي في التأسيس لمخارج القوة الاقتصادية والعسكرية والعلمية، قبل التفرغ لتأسيس أول دستور ياباني سنة 1889م.

يشير أحد الباحثين إلى أن التحول نحو الأخذ بالنموذج العسكري الألماني بدأ في التزايد بعد سنة 1880م، في عهد Katsura Taro(1848-1913)[90]، الذي يُعد من أبرز النخب العسكرية والسياسية؛

86- Richard Samuels,Machiavelli's children leaders and their legacies in Italy and Japan,Cornell University Press, 2005, page:81.

87- Bernd Martin, Japan and Germany in the Modern …op.cit, page:19.

88- Ibid, page:26.

89- Li Narangoa. Japan's Modernization.TheIwakura Mission to Scandinavia in 1873. in:

http://www.hum.au.dk/cek/kontur/pdf/kontur_02/li_narangoa.pdf, page: 20.

90- Christian W. Spang, Rolf-HaraldWippich, Japanese-German Relations, 1895-1945, Publié par Routledge, 2006, page: 24

فقد درس بألمانيا وتقلد مناصب عسكرية وسياسية مهمة في عهد الميجي[91]. ويظن ويبيش Wippich بأن هذا التحول تم على أنقاض النموذج الفرنسي الذي تأثر بالغا بالهزيمة القاسية سنة 1871م، وخاصة بعد وفاة أوموراماسيجيرو*OmuraMasujiro سنة 1869م [92] وهو الشخص الذي كان محسوبا على تيار الإصلاح العسكري الذي بدأه باكوفوالتوكوجاوا بمساعدة فرنسية في أواخر ستينات القرن التاسع عشر.

والأكيد أن التجربة اليابانية تنبهت لقضية بالغة الدلالة وتتعلق بالبحث عن أسباب القوة بمختلف أشكالها وفي شتى مناطق وجودها. ومن هنا يمكن اعتبار البناء الدستوري تتويجا وتنظيما لمخارج القوة النابعة من أرضية مجتمعية متناغمة مع مفردات الهرم السياسي ومتفاعلة مع تطور مراحل التنمية الداخلية.

هو البحث إذن عن عناصر القوة وتقليب وجوهها وعناصرها لالتقاط ما يناسب الذات المنقبة عن أسباب بقائها وتنافسيتها. والأكيد أن الألويغارشية اليابانية الحاكمة احتفظت، بالرغم من ذلك، بمسافة فاصلة في موضوع العلاقات الدبلوماسية الثنائية بين اليابان وألمانيا؛ فقد دخلت هذه العلاقات مرحلة من البرودة في أواخر القرن التاسع عشر بسبب الطموحات الإمبريالية الألمانية في شرق آسيا، وبلغ التوتر الدبلوماسي بين البلدين ذروته عندما منعت ألمانيا، بتنسيق مع روسيا وفرنسا، اليابانَ من السيطرة على مواقع في المنطقة، وهو ما انعكس على أعداد الطلبة اليابانيين المتوجهين إلى بلاد الجرمان لدراسة النظم العسكرية الألمانية [93].

بعثة إيواكارا بفرنسا.

بالرغم من الهزيمة القاسية التي تعرضت لها الجيوش الفرنسية أمام بروسيا، لم يلغ أفراد البعثة اليابانية من يوميات رحلتهم دراسةَ النظم العسكرية الفرنسية؛ فقد كانوا يبحثون عن السبب الذي يمكنه تفسير الاندحار الفرنسي أمام القوة الألمانية الناشئة، كما اعتبروا الحدثَ حالة استثنائية لا تلغي أهمية المؤسسة العسكرية الفرنسية المشهود لها بالكفاءة والفعالية؛ فقد اهتمت الصحافة الفرنسية بالبعثة وأولتها عناية خاصة، ومن ذلك ما ذكرته جريدة L'Illlustration، في عددها الصادر 29 مارس 1873م، ص: 206، وجاء فيه:

"يعرف اليابان اليوم ثورة حقيقية، ثورة سلمية وذات نتائج واعدة، فقد لاحظنا، من خلال بعثة الميكادو بباريس، تفوقها المتميز والحيوي في التعامل مع عاداتنا وحضارتنا؛ ويمثل إيفاد هؤلاء السفراء... محطة في مسلسل الإصلاحات التي بدأ تنفيذها (باليابان)، ووصلتنا بعض المعلومات التي يمكن تلخيصها في كلمات... تنبئ أن التغيير التام للجيش الياباني طرأ بفعل بعثة عسكرية تشكلت من ضباط فرنسيين" [94].

91- http://www.ndl.go.jp/portrait/e/datas/52.html?c=0

(ŌmuraMasujirō)*1824 -1869، كانت له ميول قوية نحو التعلم والطب، أتقن اللغة الهولندية، ودرس الطب بأوزاكا وواصل دراسته بناكازاكي تحت إشرافPhilipp Franz von Siebold، فزيائي ألماني، وأول أوربي يقوم بتدريس الطب الغربي باليابان. تعلم الإنجليزية على يد أحد المبعوثين الأمريكيين. عن: http://en.wikipedia.org/wiki/%C5%8Cmura_Masujir%C5%8D

92- Christian W. Spang, Rolf-Harald Wippich,op.cit,page:24

93- German-Japanese relations, http://en.wikipedia.org/wiki/German-Japanese_relations

94 - ICHIKAWA Shin-ichi, La Mission Iwakura (1871-1873) et la France,page:119-

من جهة أخرى ورد في مجلة La revue des Deux mondes, **مارس-أبريل، 1873م، ص:479، مقال، صرح فيه وزير الشؤون الخارجية إيواكارا لمثل فرنسا، إثر هزيمتها القاسية، في مواجهة ألمانيا، قائلا: "نعلم حقيقة الآلام التي سببتها الحرب لفرنسا، لكن ذلك لا يغير موقفنا من مزايا الجيش الفرنسي، الذي أبان عن شجاعة متميزة في مواجهة أفواج تفوقه عددا"[95]. أفصح إيواكارا عن علمه ببعض تفاصيل الحرب البروسية الفرنسية، وقدم نوعا من العزاء للفرنسيين، كما سوغ هزيمتهم باختلال ميزان القوى لصالح الأعداد الكبيرة من فيالق الجيش البروسي؛ وهو بذلك لا يشكك في القدرة التقنية للمؤسسة العسكرية الفرنسية التي دُعيت إلى تقديم الدعم للجيش الإمبراطوري؛ فقد وجهت حكومة الميجي الدعوة" لقدوم بعثة عسكرية فرنسية جديدة لتكوين القوات البرية اليابانية وتحديثها من 1872م إلى 1880م "[96]. وقد عبر التقرير الذي وضعه مؤرخ الرحلة، كيم كينتاكي، عن المكانة المتميزة التي تتبوأها فرنسا في أوربا، قائلا: "بموقعها داخل المركز الأكثر تقدما داخل القارة (الأوربية)، تمثل فرنسا نقطة عبور مختلف البضائع، وقلب الإشعاع الثقافي الأوربي" [97].**

الجريدة والعدد	النص
وصول بعثة إيواكارا في: 18 دجنبر 1872م le Moniteur universel,	وصلت البعثة.. البارحة الاثنين إلى كالي Calais...وبدا أفراد البعثة بلباس على الطريقة الأوربية.ص:72
تقديم بعثة إيواكارا إلى وزير الشؤون الخارجية الفرنسي في مجلة leConstitutionnel, 24 دجنبر 1872	كان أفراد البعثة، الخمسة عشر، بلباس بورجوازي...ويبدو أنهم كانوا سعداء عندما وضعت الحكومة رهن إشارتهم إقامة متميزة تابعة للدولة. ويبدو أن الاهتمام ركز على وضع أجراس كهربائية لإثارة الفضول الياباني المتحفز للمعرفة. ص:62
أعضاء البعثة في قصر الإيليزي leTemps, 28 دجنبر 1872	لم يبدُ الحرج على أعضاء البعثة(اليابانية) وكانوا يرتدون لباسهم بكل راحة.. إنهم، كما تقول وكالة هافاس، ذوي ذكاء عالي وأخلاق نبيلة. ويمثلون الشخصيات الأكثر أهمية ببلدهم. ص:75.
أعضاء البعثة في قصر الإيليزي le Moniteur universel, 28 دجنبر 1872	كان الأعضاء الثمانية يرتدون لباسا أزرق مطرزا بالذهب، ويضعون قبعات...تشبه ما كان يضعه أعضاء مجلس النواب- الفرنسيون- خلال فترة الإمبراطورية الثانية...ص:75
استقبال أعضاء البعثة في جريدة,leFigaro 16 فبراير 1873	يستقبل السيد تيير Thiers غدا الأحد، خلال حفل عشاء، أعضاء البعثة اليابانية؛ ويبدو أنهم سيرتدون ألبسة بيضاء موحدة ومطرزة بالذهب وقبعات مزينة بريشة.ص:77
ألبسة البعثة اليابانية في Constitutionnel, 24 دجنبر1872	...كان أعضاء البعثة، الذين يبلغ عددهم حوالي الخمسة عشر، يرتدون لباسا بورجوازيا.ص:78

129,page:119.site:
http://www.waseda.jp/prjmed_inst/bulletin/bull04/04_11ich.pdf,page:125

95-Ibid,page:120

96- ICHIKAWA Shin-ichi, La Mission Iwakura (1871-1873) Op.cit, page:119.

97- Ibid:121.

ومن جانب آخر اهتمت العديد من الصحف الفرنسية بمظاهر الإغرابية التي لازمت بعثة إيواكارا بفرنسا ويمكن رصد معالم ذلك من المقتطفات الآتية[98]:

نستنتج، من قراءتنا لنصوص المقالات الصحفية الفرنسية، نجاحَ البعثة اليابانية في إثارة الانتباه لطريقة لباسها التي اتسمت بالأناقة والدقة وأخذها بنموذج اللباس الأوربي. ولاشك أن أفراد بعثة إيواكارا أرادوا، من خلال ذلك، إرسال إشارة اطمئنان لدى الآخر المخالف ثقافيا وفكريا.

يتقن اليابانيون إرسال الإشارات والرموز التي تحظى بالقبول، ويحتفظون، في مكنوناتهم الداخلية بالنوايا الدفينة. وهي لعبة القناع والحقيقة التي تميز الشخصية اليابانية.

البعثة اليابانية وإشكال غزو كوريا.

من جهة أخرى وضعت بعثة إيواكارا، العقلَ السياسي الياباني أمام امتحان دقيق، فأثناء غياب أفرادها بالخارج، حاول صايغوتاكاموري، ومن بقي معه من أنصار النظام الإمبراطوري، غزوَكوريا؛ وكانتحجتهم في ذلك "رفضها (كوريا) إقامة علاقات ديبلوماسية وفتحها قنوات التبادل التجاري مع اليابان"[99]. وتلقى صايغو دعم كل من "إيتاكاكيتايسوكItagakiTaisuk، وكوتو شوجيرو GotoShojiro من مقاطعة توزا، وإيتوشيمبي EtoShimpei وسوجيماتانيومي SoejimaTaneomi من هيزن، الذين اتفقوا على ضرورة القيام بغزو كوريا وفرض العلاقات الدبلوماسية والتجارية معها مثلما فعلت الدول الغربية مع اليابان"[100].

ولا شك أن الخطوة/المغامرة كانت محفوفة بالمخاطر، في وقت كان الدبلوماسية اليابانية تبحث عن مصداقيتها داخل الدول التي زارتها كالولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وهولندا، وهي دول كانت لها مصالحها الاقتصادية والسياسية في منطقة الشرق الأقصى.

من عظماء عهد الميجي ثلاثة شبان أدوا أدوارا رئيسية في عملية البناء وهم:

تاكاموريصايغو SaigoTakamori (26 سنة)، توشيميتشيأوكيبو Toshimichi Okubo (23 سنة) وتاكايشيكيدو Kido Takayochi (21 سنة)[101]، ولا شك أن أوجه الاختلاف ظلت عميقة بين الرجلين الأولين، وبالرغم من انتمائهما لنفس المقاطعة –ساتسوما، ودراستهم في نفس الفصل الدراسي، فقد مثل صايغو التيارَ المناصر لثقافة الساموراي الأصيلة ودافع، باستماتة، من أجل إرجاع السلطة للإمبراطور. لكنه اختلف مع رفاقه في درجة الانفتاح على الغرب؛ ويمكن اعتبار غيابه عن لائحة أعضاء بعثة إيواكارا دليلا على ذلك.

ومن سياق الأحداث يبدو أن تاكاموري، توسل، من وراء غزو كوريا، بعثرة أوراق تيار الانفتاح، ووضعه أمام مأزق دبلوماسي، كما حاول إعادة تعبئة الداخل، وتوجيه طاقة الرفض المنبعثة من بقايا طبقة الساموراي المنحلة، نحو جبهة خارجية لعلها تعيد بعض الوهج لماضيها الوميض.

98-RyotaUchida, Etude de la mission IWAKURA d'après des journaux français, http://reposit.lib.kumamoto-u.ac.jp/bitstream/2298/3215/1/actes(2007)071-079.pdf,page:70-79

99- Marius B. Jansen, The Emergence of Meiji Japan, Publié 1995, Cambridge University, page: 223.

100- Ibid, page: 223.

101_ اتسوشيكادوواكي، الشباب اليابانيون، ضمن خفايا المعجزة اليابانية، مرجع سابق، ص: 69

لم يستسغ أعضاء بعثة إيواكارا فكرة غزو كوريا، وهم الذين شهدوا حقيقة القوة الغربية، وعقدوا مع دولها الاتفاقيات الملزمة، وأنجز أعضاؤها تقارير تدفع في اتجاه تعديل المقدمات اليابانية لتتلاءم مع التحديات الخارجية المتزايدة.

اشتهر أوكوبوطوشيميتشي، بمواقفه الصلبة، وصُنف في دائرة المحافظين. وتجلى ذلك في رفضه الشديد للاقتراحات الدستورية التي بدأت ملامحها في سبعينيات القرن التاسع عشر؛ فقد "كان طوشيميتشي أبعد ما يكون عن الديمقراطية، كما لم يؤمن بالحكومة التمثيلية" [102] ولا شك أن موقفه الشديد من انتفاضة صايغوتاكاموري، كلفته حياته، بإقدام أحد الساموراي على اغتياله في لحظة حاسمة في تاريخ اليابان السياسي، كما منح ذلك قادة الميجي الآخرين، ومنهم إيتوهيروبومي فرصة الانطلاق نحو التقعيد لأول دستور ياباني عام 1889م.

برز إيتو Ito، كموجه يمتلك حس القيادة، ويحسن قراءة الأحداث، ويستثمر الفرص المتاحة. وفي سنة 1868م، عندما ظهر اليابان كدولة حديثة، كان عمر "هيرو بومي إتو" الذي أصبح فيما بعد أول رئيس للوزراء في اليابان ثمان وعشرين سنة، بينما كان عمر "أرينوري موري" الذي أصبح وزيرا للتعليم في وزارة "هيرو بومي إتو" اثنتين وعشرين سنة [103]. ينتمي هيرو يومي إتو إلى مقاطعة شوتشو cho-su ولد سنة 1840 م وكان من أنصار الانفتاح على الغرب وأيد التتلمذ على يديه وداخل محرابه، ونجح في "تجاوز رقابة الباكوفو والتحق بأنجلترا مع أربعة من رفاقه، في بعثة نظمتها مقاطعته الفيودالية سنة 1863م" [104].

وقد كلفه الإمبراطور بدراسة الدساتير الأوربية؛ وبعد رحلة دراسية إلى الغرب، امتدت سنة ونصف (1882-1883م)، نجح، مع مجموعة من المثقفين اليابانيين، في وضع مقدمات مشروع دستوري ياباني؛ وفي 11 فبراير 1889م، أعلن الإمبراطور عن النص الدستوري؛ وبهذا يكون اليابان قد اقتصر على فترة 20 سنة للانتقال من النظام الملكي الإقطاعي إلى مرحلة الملكية المطلقة ثم الملكية الدستورية، وهي نتيجة تطلب تحقيقها عدة قرون في أوربا الغربية [105].

كان إيتو أول رئيس لمجلس الوزراء وتأثر بالنموذج السياسي البروسي على وجه الخصوص [106] وكان أحد أبرز أعضاء بعثة إيواكارا Iwakara 1871-1873م. وقد عين رئيسا للوزراء في سنوات 1892 و1896، 1898، 1899 و1900، 1901م، وتميزت مواقفه السياسية بالوضوح، وبمعارضة التوسع الياباني في كوريا، وتسببت له مواقفه هذه في اغتياله في 26 دجنبر 1909م [107].

102- Robert Tarbell Oliver, Leadership in Asia, PersuasiveCommunication in the Making of Nations, 1850-1950, Publié1989 University of Delaware Press , page: 34.

103- نفسه، ص: 70.

3-انظر المبحث الخاص بالبعثات اليابانية في نهاية عهد الباكوفو.

105- Pierre Renouvin,La Question…, op.cit, p: 87.

106- عبد الغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية...، مرجع سابق، ص: 132.

107- Matière ItoHirobomi, C.D, Encarta 2005, collection Microsoft, p: 1.

بعثة إيواكارا بالدول الإسكندنافية وإيطاليا

ومن البلدان الأخرى التي زارتها البعثة: اسكندنافيا؛ فقد كان سكانها في الماضي، حسب مؤرخ الرحلة، محاربين متوحشين، وتحولوا، حديثا، إلى الحضارة ويتميزون بالشجاعة والقوة. ولم يغفل Kume الحديث عن الاختلاف الموجود بين الدول الاسكندنافية: فالدانماركيون والسويديون والنرويجيون يتوزعون داخل ثلاثة بلدان لكنهم ينتمون إلى نفس العرق الجنسي[108].

وبحس استخباري يتوخى الدقة في نقل المعلومة، ميز مؤرخ الرحلة بين الدانماركيين ووصف معيشتهم بالتواضع والبساطة والعمل الشاق والابتعاد عن الترف وحياة الرفاهية، في حين أن شعب النرويج قوي و متمرس في عمليات الإبحار. ويتميز السويديون بالحيوية والقدرة والشجاعة[109].

وما يمكن قوله في هذا المقام إن اليابانيين، أثناء زيارتهم للبلدان الإسكندنافية، رأوا في تاريخ ماضي شعوبها الحالة القديمة لمجتمع الساموراي. وهو وضع أفضى إلى إكراه اليابان على توقيع اتفاقات غير متوازنة مع القوى الغربية المتنافسة. ولا شك أن وضع البلدان الثلاثة زمن زيارة البعثة، بلغ درجة من التحضر والقوة؛ وهي إشارة أفهمتهم ضرورة سير اليابان على نفس المنوال واقتفاء نفس الطريق.

وبإيطاليا زارت بعثة إيواكارا فلورنسا حيث "لاحظ أفرادها، بإعجاب، النصب التذكارية، وأظهروا اهتماما ملحوظا بطرق صناعة الرخام والفسيفساء والخزف وصناعة الحرير"[110].

ومن هنا لا يمكننا إنكار الدور الريادي الذي أسهمت به إيطاليا في صناعة الفن وفي بروز مجموعة من النحاتين والفنانين العالميين. ولا شك أن البعثة رأت في النموذج الإيطالي ما يمكن أن يفيد في« تخليد» الذاكرة اليابانية بوضع النصب التذكارية للأشخاص الذين قدموا خدمة لمجتمع النيبون.

وقد وجهت الحكومة اليابانية "الدعوة لبعض الفنانين الإيطاليين لعرض أعمالهم الفنية باليابان والتدريس بمعاهد فنية راقية باليابان"[111].

خاتمة

يتبين مما سالف الأهداف العميقة لبعثة إيواكارا؛ ممثلة في الاستقصاء عن أسرار التقانة الغربية ومعرفة تفاصيلها وآلياتها؛ كما هدفت هذه الرحلة العلمية والاستخبارية توظيفَ نتائج عملها في سيرورة التحديث الياباني الذي انطلق من عمق التاريخ ليؤسس تجربة فريدة في صور التغيير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في فترة التاريخ المعاصر.

نحن أمام برج متحرك لالتقاط المعلومة وتوظيفها بحكمة وذكاء في معادلة ثورة الميجي(1868-1912م)؛

108- Li Narangoa. Japan's Modernization.TheIwakura Mission to Scandinavia in 1873.in:

http://www.hum.au.dk/cek/kontur/pdf/kontur_02/li_narangoa.pdf,page: 20.

109- Ibid,page:20

110- Beverly Allen, Mary J. Russo, Revisioning Italy: National Identity and Global Culture, University of Minnesota Press, 1997,page: 286.

111- Beverly Allen, Mary J. Russo, Revisioning Italy,op.cit,page:286

فقد وضع اليابانيون أهدافا محددة ومخارج متعددة لبعثة إيواكارا، وقدموا لها بإجراء مجموعة من الإجراءات التحديثية على المستوى الداخلي بالشكل الذي حقق التناغم بين حجم التحولات الداخلية الإيجابية والرغبة الجامحة في الاستفادة بأقصى قدر ممكن من إنجازات الغرب في ميادين المعرفة المختلفة.

المراجع باللغة العربية

أدوين رايشاور، اليابانيون، ترجمة ليلى الجبالي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 136، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت

أكيرا تاناكا، "عهد الميجي واليابانيون"، ضمن كتاب "خفايا المعجزة اليابانية"، ترجمة عبد الله مكي القروص، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1999

باتريك سميث، اليابان، رؤية جديدة، سلسلة عالم المعرفة، عدد 268، 2001م، الكويت

شارل عيساوي، تأملات في التاريخ العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى 1991م.

عبد الغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الأولى 1984، ص: 97.

علي المحجوبي، النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر، لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت باليابان، سراس للنشر، تونس 1999

فوكوزاوايوكيتشي، سيرة فوكوزاوايوكيتشي، ترجمة كامل يوسف حسين، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية،2001

ميتشيو ناجاي، وأورشياميجول، الثورة الإصلاحية في اليابان، ترجمة عادل عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992م

المراجع باللغتين الإنجليزية والفرنسية

Akiko Ohta, The Iwakura Mission in Britain:their observations on education and Victorian society.in THE IWAKURA MISSION IN BRITAIN, The Suntory Centre, Suntory and Toyota International Centre for Economics and Related Disciplines London School of Economics and Political ScienceLondon, March 1998

Alexis Dudden, Japan's Colonization of Korea: Discourse and Power, Publié 2004, University of Hawaii Press

Andrew Cobbin, Life in Victorian London through the Eyes of KumeKunitake, Chronicler of the IwakuraMission,in THE IWAKURA MISSION IN BRITAIN, The Suntory Centre, Suntory and Toyota International Centre for Economics and Related Disciplines London School of Economics and Political Science

Arinori Mori, MoriArinori, Akira Iriye, John E. Van Sant, Mori Arinori's Life and Resources in America, Publié 2004 Lexington Books

Bernd Martin,Japan and Germany in the Modern World, Publié par Berghahn Books, 2006

Bert Edstrom,The Japanese and Europe:Images and perceptions,Routledge,2000

Beverly Allen, Mary J. Russo, Revisioning Italy: National Identity and Global Culture, University of Minnesota Press, 1997,

Bob Tadashi Wakabayashi,Modern Japan thought,Combridge University Press,1998

Bob Tadashi, Modern Japanese Thought, Publié 1998 Cambridge University Press

Charles Kupchan, Power in transition the peaceful change of international order, Tokyo ; [Great Britain]: United Nations University Press, ©2001

Charles Kurzman, Modernist Islam, 1840-1940 A Source book ,Oxford University PressUS, 2002,

Charles Lanman, The Japanese in America, Japan Advertiser Press, 1926

Christian W. Spang, Rolf-HaraldWippich, Japanese-German Relations, 1895-1945, Publié par Routledge, 2006

Claude Hamon, ShibusawaEiichi (1840-1931): Bâtisseur du capitalisme japonais.Maisonneuve et Larose, Paris, 2007

DaikichiIrokawa, The Culture of the Meiji Period, Traduit par Marius B. Jansen, Collaborateur Marius B Jansen, Publié 1985Princeton UniversityPress

Dorothy Perkins , Japan Goes to War: A Chronology of Japanese Military Expansion from the Meiji Era to the Attack on Pearl Harbor, 1868-1941, Publié1997.DIANE Publishing,

Gilda Massari Coelho, La société de la connaissance et les systèmes d'information stratégique comme appui à la prise de decision, Université de droit ,d'économie et des sciences d'Aix-Marseille, Faculté des sciences et techniques de ST.Jérome,2001.

Hiroshi Nagaba, Japan and Turkey historical process for diplomatique relations, perceptions/Volume2/September-November1997

James L. Huffman, Creating a Public People and Press in Meiji Japan, Publié 1997,University of Hawaii Press

John E. Van Sant, Roger Daniels, Pacific Pioneers Japanese Journeys to America and Hawaii, 1850-80, University of Illinois Press2000

Joseph Barton Starr, The United States Constitution: Its Birth, Growth and Influence in Asia, Publié 1988, Hong Kong University Press

Karen Kelsky, Women on the verge Japanese Women, Western Dreams, Duke UniversityPress, 2001

Klaus Schlichmann, Faculty of comparative culture , Sophia Unniversity, Japan Germany and the idea of the Hague peace confernces, Journal of peace research , vol: 40, no:4, Sage publications London, thousand Oaks, CA and new Delhi, 2003

Koyama Noboru, Japanese Students at Cambridge University in the Meiji Era, 1868-1912: Pioneers for the Modernization of Japan, Traduit par Ian C. Ruxton, Publié par Lulu.com, 1999

MakiyoHori,The constitution of Japan, The United states constitution: its birth growth and influence in Asia Joseph Barton Starr, American studies,Hong-kong University Press,1988

MakiyoHori,the constitution of Japan:alogicial extensions of the ueki draft constitution (1881)and the American constitution's Bill of rights, in: Joseph Barton Starr, The United States ConstitutionIts Birth, Growth and Influence in Asia, Hong Kong University Press,1988

Marius B. Jansen, The Emergence of Meiji Japan, Publié 1995, Cambridge University,
Michael R. AuslinNegotiating with Imperialism: The Unequal Treaties and the Culture of Japanese Diplomacy. Publié 2004Press

Nisuke Ando, KokusaihōGakkai, Japan and International LawPast, Present and Future,Edited by Japanese Assoc. of International Law and Nisuke AndoPublié 1999

Olive Checkland, The Iwakura Mission, industries and exports, in THE IWAKURA MISSION IN BRITAIN.op.cit,.

Pierre Renouvin, La Question de l'extrême orient (1840-1949) Librairie Hachette, Paris 1946.

René Grousset et Emile Léonard, Histoire universelle 3, Editions Gallimard, 1958.

Richard Samuels,Machiavelli's children leaders and their legacies in Italy and Japan,Cornell University Press, 2005

Robert Tarbell Oliver, Leadership in Asia, PersuasiveCommunication in the Making of Nations, 1850-1950, Publié1989 University of Delaware Press

Roy HidemishiAkagi,japanforeing relations(1543-1936)The Hokuseido press,Tokyo,1936

The Suntory Centre Suntory and Toyota International Centres for Economics and Related Disciplines London School of Economics and Political Science, London March 1998

Wiliam Gerald Beasly,collected writings of W.G.Beasly.Routledge, Japan ,2001

William G. Beasley, The rise of modern Japan, Publié 1990 St. Martin's Press

William K. Tabb- ,The Postwar Japanese System Cultural Economy and Economic Transformation, Oxford University PressUS,1995

William K. Tabb, The Postwar Japanese System Cultural Economy and Economic Transformation, Publié 1995Oxford University PressUS.

****